كتب

فيما يوحي عنوان الكتاب الأخير للمفكّر الفرنسي باضطهاد تعرّضت له بعض الكتب التي كانت تحاول أن تقول حقيقة مختلفة عما تروّجه المؤسسات الرسمية، نجد أن الكتب التي تناولها نُشرت وأعيد نشرها وحظي أصحابها بمنابر إعلامية للدفاع عما كتبوه

ميشيل أونفري أقرب إلى تصفية حسابات

اختراع مظلوميات أدبية

ديما شريف

يخال للمرء قبل الشروع في قراءة كتاب المفكّر الفرنسي ميشيل أونفري (1959) Autodafés: L'art de détruire les livres (يمكن ترجمة العنوان إلى «رسوم الإيمان: فن تدمير الكتب») الصادر بالفرنسية في آب/ أغسطس الماضي، وإذا توقفنا عند عنوان العمل، أنّنا سنكون أمام نص يتناول منع أعمال أدبية وفلسفية في فرنسا واضطهاد أصحاب هذه الأعمال. فرسوم الإيمان هي ما اضطر للقيام به كل من اتُّهموا بالهرطقة والردة الدينية وأجبرتهم محاكم التفتيش في العصور الوسطى على الاعتراف العلني بـ«خطيئتهم»، قبل تنفيذ حكم بحقهم، وغالباً ما يكون هذا الحكم هو الإعدام حرقاً في الساحات العامة. لكن الصفحات المئتين في كتاب أونفري تتناول ستة كتب، يبدو أنها مفضلة عند أونفري ويعتقد أنها لم تنل حقها، وأن مضمونها وأصحابها تعرّضوا للنقد من قبل من يسميهم في مقدمته «فاشيو اليسار».

يكرّس صاحب «نفي اللاهوت» (2005)، ما بدأ فيه سابقاً من انتقادات لأبرز فلاسفة اليسار مثل جان بول سارتر وسيمون دو بوفوار وميشيل فوكو وغيرهم، ويجعلهم هدفاً له ويتهمهم بأنهم مالأوا ستالين ثم ماو تسي تونغ والخميني على حساب منتقدي هؤلاء وحاربوا أي نقد لهم في الكتب أو الصحافة. عنوان الكتاب يجعل القارئ يستعدّ ليقرأ أسراراً مثلاً عن كتب لم تُطبع أو صودرت بسبب انتقادها للصين والاتحاد السوفييتي، ليفاجأ بأن المؤلفات التي يتناولها مشهورة، لا بل إن بعضها لا يزال يُطبع إلى اليوم بعد عقود على نشرها، مثل «صدام الحضارات» لصامويل هانتنغتون.

الكتب الستة التي يتناولها العمل هي: «الثياب الجديدة للرئيس ماو» لـ سيمون لايز (1971)؛ «أرخبيل الغولاغ» لـ ألكسندر سولجنستين (1973)؛ «رحلة إلى قلب الاستياء الفرنسي» لـ بول يونيه (1993)؛ «صدام الحضارات» لـ صامويل هانتنغتون (1996)؛ «الكتاب الأسود للتحليل النفسي» (جماعي، 2005)؛ و«أرسطو في قمة سآن ميشيل» لـ سيلفان غوغنهايم (2008).

لكن المؤلِّف وقبل تفنيد ما يراه حملة شعواء على كل كتاب، يخصّص مقدمته لهجوم شرس على اليسار الفرنسي الذي يعتبر أونفري نفسه ممثلا للجانب الليبرالي منه. فمن تسع وعشرين صفحة تشكلها المقدمة، نجد ستاً وعشرين منها موجهة لنقد «فاشيي اليسار» الذين كرستهم تظاهرات أيار/ مايو 1968 لتكون لهم سطوة، وفق أونفري، ليتحكموا بالجامعات والصحافة والأدب والسينما وعالم النشر، إلخ. ونتيجة لذلك، لن يعرف القارئ عما يتحدث عنه الكتاب قبل الصفحة 26 حين يفسر لنا أنه «يدرس كيف نُسِفت كتب ضرورية لتأسيس الحقيقة (...) كان هدفها تدمير أوهام يعيشها الناس». بالتالي، إذا لم يكن قارئ الكتاب على بيّنة من موضوعه قبل الشروع به، لن تخبره المقدمة الكثير.

يخصّص أونفري لكل كتاب من الكتب الآنفة الذكر فصلاً، يقسمه لجزأين: الأول يتحدث فيه عن تفاصيل الكتاب والثاني عن الحملات التي طاولته. ويستعير في هذا التقسيم جملة من أغنية فرنسية اشتهرت في الستينيات للمغني غي بيار عنوانها «الحقيقة»: «أول من يقول الحقيقة، يتم إعدامه». فيُعنون الجزء الذي يتحدث عن تفاصيل الكتاب «أول من يقول الحقيقة...»

انتقائية مريبة

منذ صدور كتابه، يتنقّل ميشيل أونفري بين التلفزيونات الفرنسية مروّجاً لإصداره بطريقة توحي أنّ الكتاب يفضح الإنتليجنسيا الفرنسية ودوافعها السياسية، وسيفاجأ من اطلع على الكتاب بالمسافة التي تفصل ما يقوله أونفري عما ورد في كتابه، ففي النهاية لم تتعرّض الكتب التي اختارها لأكثر من انتقادات عادية تراقف اي إصدار جديد، فيما تغيب عن قائمته اعمال تعرّضت لما هو أفظع بما لا يقاس.

يدرس العمل بحسب مؤلفه كيف نُسفت كتب ضرورية لفهم الحقيقة

الكتاب أقرب إلى «تنفيسة» شخصيّة منه إلى عمل فكريّ

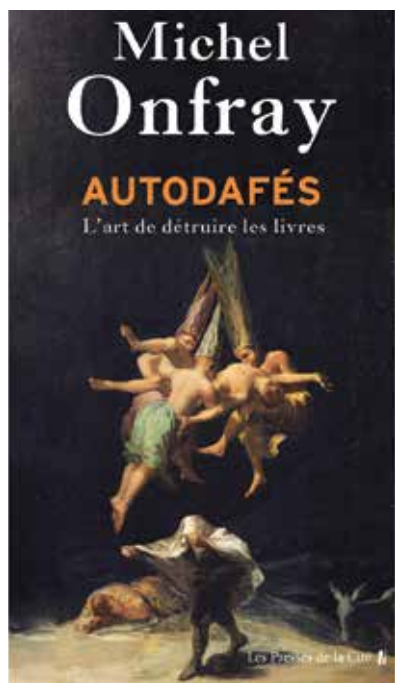

كولاج لـ انطوني تابييس

الأول «... يتم إعدامه». «الثياب الجديدة للرئيس ماو» لسيمون لايز يتناول فترة حكم ماو تسي تونغ والثورة الثقافية، ويفند كل مساوئها. والكتاب طبع مرات عدّة، منذ صدوره للمرة الأولى عام 1981. يعتقد أونفري أن الكاتب، وهو متخصص في الشؤون الصينية والآسيوية، تعرّض لحملة شعواء بسبب عشرات المقالات نشرت في الأشهر التي تلت صدور الكتاب تنتقد مضمونه، في الصفحات الثقافية للصحف الفرنسية. هذه المقالات لم تمنع لايز من نشر كتابين في السنوات اللاحقة يتابع فيهما ما بدأه من تأريخ لفترة حكم ماو: «الظلال الصينية» (1974)، و«الصور المكسورة» (1976)، إلى جانب عشرات الكتب الأخرى في مواضيع متنوعة، وتم تكريمه بعدد من الجوائز الأدبية في فرنسا وخارجها.

أما كتاب «أرخبيل الغولاغ» لألكسندر سولجنستين، فيعتبر أونفري أن منتقديه يتساوون مع الجلادين في الغولاغ نفسه، ويتساءل: كيف لم تتم محاكمة مؤيدي الفكر الماوي والتروتسكي في فرنسا على غرار مؤيدي هتلر وبيتان (الماريشال الفرنسي الذي تعاون مع النازية). ويصل به الأمر إلى اعتبار أنّ الهجوم الذي تعرّض له الكتاب كان يهدف لتمهيد الطريق أمام فرانسوا ميتران لكسب الانتخابات.

كتاب «رحلة إلى قلب الاستياء الفرنسي» لبول يونيه كان موجّهاً ضد جهود جمعيات مناهضة العنصرية الفرنسية التي نشطت في الثمانينيات، وينتقد «شيطنة البيض» ويرفض تحميل البيض أي مسؤولية عن العنصرية تجاه المهاجرين. كان الكتاب بطبيعة الحال هدفاً لعدد كبير من المقالات الصحافية وتطوّع فنانون ومثقفون للترويج ضده في مقابلاتهم التلفزيونية. لكن ذلك لم يمنع طبع الكتاب مرات عدة، وبقاء يونيه في منصبه الجامعي حتى تقاعده، واستمراره في النشر والكتابة.

ومن المستغرب أن يحضر كتاب «صدام الحضارات» لصامويل هانتنغتون. أونفري مقتنع بأنّ الحملة ضد الكتاب في الصحف الفرنسية قام بها من ينعتهم بـ«اليسار المدافع عن الخطاب الإسلامي» islamo-gauchistes. هؤلاء، وفق أونفري، خدموا بشكل غير مباشر أطروحات فرانسيس فوكوياما ومنتدى دافوس والليبرالية التي يروّج لها. كيف يمكن لعشرات المقالات أن تكون «دمرت» كتاب هانتنغتون الذي أعيد طبعه في فرنسا وحدها مرات عدّة منذ صدوره؟ لا يفسر لنا أونفري ذلك، وهو يركز انتقاده الأكبر على مقال إدوارد سعيد النقدي «صدام عبر الجهل» الذي نشرته صحيفة «لوموند» في تشرين الأول/ أكتوبر 2001.

أما «الكتاب الأسود للتحليل النفسي» فلا ينجح أونفري في تنويرنا كيف «استُهدف» وهو يؤكد لنا أنّه حقّق نجاحاً جماهيرياً كبيراً فبيعت خمس وعشرون ألف نسخة منه في أسبوعين. الكتاب يجمع نصوصاً لعدد من الباحثين في علم النفس يفنّدون فيه طريقة عمل سيغموند فرويد ونظرياته وينتقدونها، وقد أعيد طبعه بصفحاته الثمانمائة مرات عدة بسبب الإقبال الجماهيري عليه. تعرّض الكتاب لحملة نقد كبيرة من قبل مؤيدي فرويد وتلامذته، لكن الأمر اقتصر على مقالات في الصفحات الثقافية في الصحف ومداخلات في برامج ثقافية على شاشات التلفزة.

وأخيراً، يتناول أونفري كتاب «أرسطو في قمة سان ميشيل» الإشكالي، والذي نشره الباحث في شؤون القرون الوسطى سيلفان غوغنهايم في العام 2008. يطرح الكتاب إعادة النظر في مساهمة العرب في إحياء العلوم والأدب في أوروبا في القرون الوسطى، ليؤكد على أن من نقل علوم اليونان القديمة إلى أوروبا ليس المسلمون ولكن مترجمون نسّاك عاشوا في سان ميشيل في فرنسا وبجهد من راهب كاثوليكي يدعى يعقوب من مدينة البندقية. الكتاب أثار زوبعة داخل الأوساط الأكاديمية الفرنسية وانتقادات كثيرة باعتبار أنه لا توجد إثباتات تاريخية على وجود الراهب يعقوب، وهو ما قاله غوغنهايم بعد فترة، معترفاً بأنه لم يجد براهين تاريخية على عمل هذا الراهب. لكن غوغنهايم رغم ذلك، بقي في عمله الجامعي، ويستمر لليوم في النشر والكتابة. أونفري يعتبر أن الحملة الإعلامية والأكاديمية أجبرت غوغنهايم على القول إنّ الشخصية الرئيسية لكتابه لم تكن موجودة كي يتخلص من النقد، وأنّ الكتاب «عمل إبداعي».

استعارة أونفري عنوان كتابه من أدبيات العصور الوسطى قد تحمل بعض المبالغة والتضليل. الكتب التي تناولها في عمله نشرت (وبعضها أعيد نشره في طبعات لاحقة) وحظي أصحابها بمنابر إعلامية للدفاع عما كتبوه، وحافظوا على وظائفهم ولم يتعرّض أحدهم لمحاولة اغتيال عدا المعنوية منها التي يكررها في كل فصل من فصول كتابه.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

نظرة أولى

يعود كتاب **لبنان: دراسات في المجتمع والاقتصاد والثقافة** الذي صدر حديثاً عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» إلى إعلان تأسيس دولة لبنان الكبير عام 1929، في محاولة لفهم تعدّد هذا البلد في سياقه العربي، من خلال دراسات وضعها مجموعة من المؤلّفين تضمّنت مسحاً شاملاً لأبرز القطاعات والمجالات التي تشمل التاريخ والجغرافيا والسكان والاقتصاد والتربية والسياحة والثقافة والسياسة وعلاقات لبنان الخارجية، تسعى إلى التعريف بلبنان طبيعةً واقتصاداً واجتماعاً خلال مئة عام، وكيفية تفاعل نخبه مع سلسلة من الأزمات التي عصفت به.

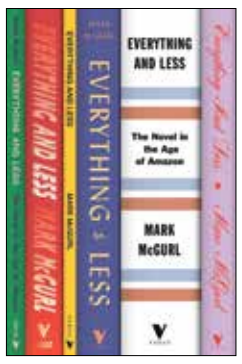

كل شيء وأقل: الرواية في عصر أمازون عنوان الكتاب الذي صدر للناقد الأميركي مارك ماكغورل عن «منشورات فيرسو». يستند المؤلّف إلى فرضية تقول بأن الكتابة المعاصرة لا تتعلق بالكتابة في حدّ ذاتها بقدر ما تتعلق بطريقة توزيعها وفق منطق استهلاكي بات من الصعب تجاوزه حين تتجاور الأعمال الأدبية والفكرية مع كتب التسلية والتنمية البشرية في سوق واحدة، وتجلّى ذلك منذ انطلاق موقع «أمازون» عام 1994 حيث أثّر ذلك على نظرة الجمهور إلى الكتاب وكيفية اتخاذهم القرار بشرائه، وأصبح تصنيف العناوين يعتمد معايير تتعلّق بتواجدها اقتراضياً.

كتاب الكوابيس عنوان مجموعة قصصية صدرت مؤخراً للكاتب العراقي حسن أكرم عن منشورات «مقبرة الكتب». يجمع العمل عدداً من القصص حازت منحة «الصندوق العربي للثقافة والفنون- آفاق» للكتابة عام 2020 لنشرها في كتاب وكان بعضها قد نشر أوّل مرة على صفحات «العربي الجديد». المؤلف من مواليد مدينة البصرة عام 1993 ويقيم في بغداد. حاصل على شهادة البكالوريوس في علوم الحياة من جامعة القادسية في العراق، قبل أن يتجه إلى العمل في مجال النشر وصناعة وتسويق الكتاب. للمؤلف أيضاً رواية بعنوان «خطّة لإنقاذ العالم» صدرت عن «دار الرافدين».

للباحثة الفرنسية باربارا ستيغلر، صدر حديثاً لدى منشورات «فوليو» في باريس كتاب **نيتشه والحياة: تاريخ جديد للفلسفة**. يقترح العمل مدخلاً جديداً وغير مألوف لقراءة جزء من تاريخ الفلسفة، يتمثّل بالفلسفة النيتشوية. تنطلق المؤلّفة من فكر الفيلسوف الألماني وسيرته، اللذين أعطيا الحيّز الأكبر للجسد والعيش، لتُطلع قارئها على أسماء وتجارب ونظريات بارزة في تاريخ التفلسف الغربي حول علاقة الفلسفة بالجسد والحياة، وذلك من ديكارت وكانط وهيغل وماركس وصولاً إلى ويليام جيمس وهنري برغسون وجان كانغيلم وميشيل فوكو.

عن «مركز دراسات الوحدة العربية»، صدر حديثاً كتابٌ للباحث ميرزا حسن القصاب بعنوان **ما بعد النفط: تحدّيات البقاء في دول الخليج العربية**. يُضيء العملُ، الذي يتضمّن ستة عشر فصلاً، على التحوُّلات التي شهدتها بلدان الخليج بفضل الثروة النفطية التي باتت تشكّل «شريان حياة» لأنظمتها الاجتماعية والاقتصادية، منبّهاً إلى أنَّ مستقبل هذه البلدان مهدَّد بنضوب النفط، بالنظر إلى أنَّ المنطقة تعتمد على الاستيراد الذي تموّله عائدات صادراته، مشيراً إلى ضرورة وجود إرادة سياسية تُجري إصلاحات وتغييرات جذرية في السياسة والاقتصاد.

مجموعة قصصية بعنوان **جيجي وأرنب علي** صدرت للكاتب والشاعر الفلسطيني أمير حمد (مواليد القدس عام 1992)، عن «الأهلية». سبق للمجموعة أن حصلتْ على جائزة مسابقة الكاتب الشاب للعام 2019، التي تمنحها «مؤسّسة عبد المحسن القطّان» والتي فاز بها حمد بجائزة الشعر أيضاً. تتضمّن المجموعة عشرين قصة موزّعة على خمسة أقسام هي: «بصرامة طفل يلعب»، و«بيوت تطارد ساكنيها»، و«كلما عبرت حاجزاً»، و«شبح يراقص بحيرة»، و«قافية لرثاء سريع». ومن عناوين قصص المجموعة: «طريق القدس يافا»، و«ضيعة المتنبي»، و«ما يشبه الثعلب»، و«منزل نهاية الأسبوع».

شُفروز هو عنوان آخر روايات الكاتب الفرنسي باتريك موديانو، حائزة جائزة «نوبل للآداب» عام 2014، والصادرة أخيراً لدى منشورات «غاليمار» في باريس. يحمل العمل اسم وادي شُفروز الذي يقع جنوب غرب العاصمة الفرنسية، وفيه يروي صاحب «ساحة النجمة» حكاية رجلٍ يستعيد سنوات شبابه الأوّل، ولا سيّما حبّه لكاميّ، تلك الفتاة التي عاد اسمها ليشغل باله بعد غياب أكثر من 15 عاماً. يتنقّل السرد بين أزمنة ثلاثة، هي طفولة الراوي، وسنوات شبابه وحبّه، والوقت الحالي، الذي ينطلق منه السرد والراوي، الباحث عن كتابة ماضيه.

عن دار «الساقي»، صدرت حديثاً النسخة العربية من رواية **المستحيل** للكاتب الإيطالي إرّي دي لوكا، بترجمة رامي طويل. يتمحور العمل الذي صدر بالإيطالية عام 2019 . حول جلسة تحقيق بين قاضٍ شاب وناشطٍ يساريّ يُتَّهم، بلا دليل، بقتل رفيق كفاحٍ له. يروي الحكاية الناشط، الذي لا نعرف من اسمه إلاّ حرفه الأول: ر، والذي يقدّمه المؤلّف باعتباره واحداً من «الجيل الأكثر ملاحقةً من قبل القضاء في تاريخ إيطاليا». قصّةٌ يعود فيها صاحب «باسم الأم» إلى عدد من ثيماته المفضّلة، كالالتزام السياسي، والعدالة، والصداقة، والخيانة.